والحاصل أن أفعال العباد خيرها وشرها مخلوقة لله لا لهم إلا أنه ينسب الخير لله والشر للنفس تأدبا وإن كان منسوبا لله تعالى إيجادا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك أي كسبا كما يفسره قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وأما قوله تعالى قل كل من عند الله فرجوع إلى الحقيقة. فخلق الله تعالى الطاعة في العبد الذي أراد وصوله لرضاه ومحبته وذلك هو المسمى بالتوفيق وخلق الله المعصية في العبد الذي أراد بعده عن رضاه ومحبته وذلك هو المسمى بالخذلان لأن التوفيق خلق الطاعة في العبد وقيل خلق قدرة الطاعة فيه والخذلان خلق المعصية في العبد وقيل قدرة المعصية فيه وهذا معنى قوله موفق لمن أراد أن يصل وخاذل لمن أراد بعده وأشار بقوله ومنجز لمن أراد وعده إلى أن وعد الله تعالى المومنين بالجنة لا يتخلف شرعا فلطفا لقوله تعالى وعد الله لا يخلف الله وعده إن الله لا يخلف الميعاد أي الوعد كما قاله بعض المفسرين لأن الخلف في الوعد نقص يجب تنزيه الله تعالى عنه وهذا متفق عليه بين الأشاعرة والماتريدية وأما الوعيد وهو توعد الله العاصي بالنار فيجوز الخلف فيه عند الأشاعرة لأن الخلف فيه لا يعد نقصا بل كرما وما زالت العرب تتمدح بإنجاز الوعد وإخلاف الوعيد

قال الشاعر ، وإني وإن أوعدته أو وعدته ، لمخلف إيعادي ومنجز موعدي ،

ولا يرد عليه لزوم الكذب في الخبر الإلهي وهو تعالى منزه عنه لأن إيعاد الكريم مبني على المشيئة وإن لم يصرح بها فإذا قال الكريم لأعذبن زيدا مثلا فمعناه إن شئت بخلاف الوعد فإن الإنجاز كرم فإن يبنى إخباره به على الجزم ولا يرد عليه نحو قوله وقد قال تعالى ما يبدل القول لدي لأن الآية محمولة على وعيد الكفار أو من لم يرد الله عنه عفوا وذهب الماتريدية إلى امتناع تخلف الوعيد لأن الآيات الواردة فيه لا تخرج من عمومها إلا المومن المغفور له وأما غير المغفور له فلا بد من نفوذ الوعيد فيه ويبنى على الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية أنه يصح على قول الأشاعرة أن

نقول

نقول اللهم اغفر لجميع المومنين جميع ذنوبهم ولا يصح ذلك على قول الماتريدية قوله فخاذل خبر لمبتدإ محذوف والفاء للتفريع أو واقعة في الفصيحة على تقدير إذا ثبت وجوب انفراده تعالى بالإيجاد فهو خاذل واللام في قوله لعبده للتقوية وما معطوفة على عبده وهي مصدرية يؤول ما بعدها بمصدر والتقدير فخاذل لعبده ولعمله وهذا أولى من جعلها موصولة لأن حذف العائد خلاف الأصل ويحتملهما في آية والله خلقكم وما تعملون وهي مقتبس لفظها قال رحمه الله تعالى

فوز السعيد عنده في الأزل كذا الشقي ثم لم ينتقل

الفوز النجاة والظفر بالخير والأزل عدم الأولية كان الله ولا شيء معه ولذا لا أولية ابتداء ومذهب الأشاعرة أن السعادة هي الموت على الإيمان باعتبار تعلق علم الله في الأزل بذلك والشقاوة هي الموت على الكفر باعتبار تعلق علم الله بذلك في الأزل فالخاتمة تدل على السابقة فمن ختم له بالإيمان دل على أنه في الأزل كان من السعداء وإن تقدم له كفر وإن ختم له بالكفر دل على أنه في الأزل كان من الأشقياء وإن تقدم له إيمان فخوف العامة من الخاتمة وخوف الخاصة من السابقة فالسعادة والشقاوة مقدرتان في الأزل لا تتغيران ولا تتبدلان وذهب الماتريدية إلى أن السعادة هي الإيمان في الحال وإن مات على الكفر فقد انقلب شقيا بعد أن كان سعيدا والشقاوة هي الكفر في الحال وإن مات على الإيمان فقد انقلب سعيدا بعد أن كان شقيا فوز السعا دة مبتدأ خبره في الأزل وعنده حال من ضمير الاستقرار والضمير المضاف إليه عند لله تعالى والمراد من العندية العلم والتقدير فوز السعيد مقدر في الأزل حال كونه سابقا عنده تعالى أي في علمه وبه علم لا ينتقل على كل من السعيد والشقي ثم قال رحمه الله

وعندنا للعبد كسب كلفا ولم يكن مؤثرا فلتعرفا
فليس مجبورا ولا اختيارا وليس كلا يفعل اختيارا

تقدم أنه ليس للعبد في أفعاله الاختيارية إلا الكسب وهو مذهب أهل السنة والكسب

Copyright © King Saud University